مَقْصَدِيَّةُ التَّوْرِيَةِ بين المُصَرَّح به والمَسْكُوت عنه

الطالبة الباحثة: يعقوب الزهرة

جامعة تيارت ـ الجزائر

تحاول هذه الدراسة الكشف عن الأثر الفني للتورية بعيدا عن الأثر الذي خلفته البناءات الثابتة، بمحاولة طرحها على الإمكانات التأويلية والقراءات المتعددة، مما يثير لدى المتلقي تساؤلات جسدها المعنى السياقي المسكوت عنه من طرف المتكلم، والتي تجعله يستدعي بلورة علاقة تفاعلية بينه وبين السياق النصي من جهة، وبين المعنى التخيلي والمعنى التداولي للمسكوت عنه من جهة أخرى، في محاولة منه الكشف عن مقصدية المتكلم.

Résumé: Cette étude tente de détecter l'effet technique du calembour loin de l'impact des sructures fixes, en essayant de l'exposer à des possibilité et à des lectures interprétatives et multiples ce qui soulève chez le destinataire une interrogation de son sens contextuel. Par conséquent, cela exige une relation interactive élaborée entre a le sens contextuel et le sens textuel d'une part, et entre le sens imaginaire et délibérative d'autre part, dans le but de dévoiler l'intention de l'emetteur.

بتعدد المصطلحات البلاغية خُلّقت التمثلات النمطية والبناءات الثابتة التي أفضت إلى التقعيد الفلسفي والمنطقي الذي ارتكزت إليه، مما طرح إشكالات تواصلية للمتلقين باختلاف الفترات والحقب الزمنية. ولكي تضمن تلك المصطلحات البلاغية وجودها واستمراريتها في إنتاج قيم فنّية ووجدانية وفكرية وجمالية جديدة، لابدّ أن يتجه المشروع البلاغي من الأثر المنطقي النمطي إلى الأثر المبني على الاحتمالات القرائية والممكنات التأويلية.

على هذا المرتكز الاحتمالي يقوم علم البديع بمباحثه المختلفة الذي يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة[1]، وقيامه هذا مبني على التفاعل بين علمي المعاني والبيان؛ فالأول يكون الكلام فيه مطابقا لمقتضى الحال، والثاني يختص بكيفية طرق دلالته-الكلام -فتكون معلومة الوضوح ومبررة الخفاء[2]. وهذا يدل على أنّ هناك وجوها مخصوصة يُسار بها إلى تحسين الكلام، ترجع في مجملها إلى فرعين أساسيين همّا اللّفظ والمعنى.

من هنا، رصد البلاغيون البديعيات، وجعلوها تتمظهر في أشكال مختلفة، وفي كيفيات متنوعة، بعيدا عن البحث في مقاصدها، كالتورية، والتوجيه، والطباق؛ وغيرها، وبذلك انغلقت هذه المباحث المتوقفة على السُنية القرائية والتواتر بقراءاتها الأولية على نفسها.

وتعتبر التورية من أهم مقاصد هذا الباب، لذا ركزنا عليها في بحثنا هذا بغية، الكشف عمّا تثيره من التباسات قرائية بين المتلقين.

التورية بين المفهوم والمصطلح: يفيد ابن منظور (ت711هـ) :« في لسانه: وَرَيْتُ الخَبَر أوريَّه تورية، إذا سترته وأظهرت غيره، كأنّه مأخوذ من وراء الإنسان، لأنّه إذا قال ورّيته فكأنّه يجعله وراءه حيث لا يظهر، ووريت عنه أردته وأظهرت غيره... والتورية الستر واستوريت فلانا رأيا؛ سألته أن يستخرج لي رأيا، ويحتمل أن يكون من التورية، وهوالكناية عنه». [3]

ويعرفها الحموي)ت837 هـ) :«التورية، يقال لها: الإيهام والتوجيه والتخيير. والتورية أولى في التسمية لقربها من المسمّى، لأنها مصدر ووريت الخبر تورية، إذا سترته وأظهرت غيره، كأنّ المتكلّم يجعله وراءه بحيث لا يظهر، وهي في الاصطلاح، أن يذكر المتكلّم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجازا، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويورى عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السّامع أول وهلة، أنّه يريد القريب، وليس كذلك، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما. »[4]

من الفهمين السابقين، يمكن أن نُحدِّد معنى التورية وقيمتَها في النقاط التالية:

1. ينقسم المعنى في التورية إلى قسمين، الأول: مصرَّح به، وهو معنى واضح جليّ قريب المأخذ، والثاني: مسكوت عنه، يفيد في مدلوله اللُّغوي: الإعراض وعدم التكلّم فيه [5]. ومن الناحية الاصطلاحية« : فهو قضية لا تكمن إثارتها إلا في نطاق التركيب فيما يتحمله من المعاني، والمسكوت عنه، ليس لفظا محذوفا، بل هو معنى محذوف يختلف باختلاف المؤولين في مقاصدهم »[6]، وبالتالي فهو بعيد المأخذ يُجسّد مقصدية المتكلّم التي يحاول المتلقي الكشف عنها من خلال العلاقة التواصلية التي يبنها بينه وبين الوحدة المورى بها عن المعنى المقصود ببناء تحولات دلالية وتأويلات وافتراضات مسبقة لمقتضى حال الباث من جهة وموازية لمقصدية النص الكلية من جهة أخرى.

2. إنّ الأسلوب التضليلي للتورية، يستدعي من المتلقي بلورة علاقة حوارية تفاعلية بينه وبين السِّياق النَّصي باستدعاء القرائن النّصية الداخلية والخارجية من خلال إدراكه التعارض بين العالم التخيُّلي والعالم اليومي للتورية (الوحدة المورى بها)، أي بين الوظيفة الشعرية والوظيفة المرجعية.

3. إنّ الإيهام الذي تؤديه التورية، يدفع بالمتلقي إلى إخراج الكلام عن مقصوده الظاهر (مورى به)، وطلب المقصد المسكوت عنه (مورى عنه) الذي يخفيه تحته، فيحتاج الباث إلى صرف المتلقي عن طلب هذا المعنى، ولا يتأت (ى له ذلك إلّا بمضاعفة الإيهام من خلال التوسيع اللغوي له، وانزياحه عن سياق المعاني الظاهرة، ومن جهة أخرى يحتاج من المتلقي إلى استحضار وإعمال العقل وتحريك الخاطر له.

4. إنّ عدم التناسب بين المورى به والمورى عنه، يجعل من المتلقي والباث فاقدين للتواصل الجمالي بينهما. ولهذا يتحتم على الباث خلق شفرة تواصلية يقتضيها المقام ويستدعيها الحال.

ومن هذه الشفرة تمّ النظر في موروثنا البلاغي إلى التورية من ثلاثة أوجه:

أ. **مرشحة**: فهي التي" قُرن بها ما يلائم المورى به، إمّا قبلها، كقول الحماسي موسى بن جابر الحنفي(7):

فلّما نَأَتْ عنّا العَشِيرَةُ كُلُّها ... أَنَخْنَا:فَحَالَفْنَا' السُّيوف على الدَّهْرِ

فما أسْلَمَتْنا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةً ... ولاَ نَحْنُ أُغْضَيْنَا الجُفُونَ على وَتْرِ

فإنّ الإغضاء ممّا يُلائم جفن العين لا جفن السيف، وإنْ كان المراد به إغماد السيوف، لأنّ السيف إذا أُغمد انطبق الجفن عليه، وإذا جُرّد انفتح؛ للخلاء الذي بين الدّفّتينْ، وإمّا بعدها، كلفظ" الغزالة "في قول القاضي الإمام أبي الفضل عياض في صيفية باردة(8):

كأنّ كَانُون أَهْدَى مِن مُلابَسَةِ ... لشَهْرِ تَمُّوز أنواعا من الحُلَلِ

أو الغَزَالَةِ مِن طُول المَدى خَرِفَتْ ... فما تُفرّق بين الجَدْي والحَمْلِ

ب. **مُجرّدة**: فهي ما لم يصحبها شيء يلائم المعنى المورى به، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(9)، حيث تدل لفظة" جرحتم "معناها البعيد المسكوت عنه، وهو اقتراف الذنوب. ولم يرد معناه القريب الظاهر المصرّح به وهو شق الجلد وتمزّقه(10). وربّما سُمّيت كذلك لتجردها ممّا يقوي بهذا المعنى والتوجيه إليه.

ج. **مُبيّنة**: وهي ما ذكر « فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده»(11)، وهي بذلك تورية مكشوفة لا قناع لها، كقول البحتري(12):

ولقد نَهَيْتُ الدّمع، يوم سُوِيقَة ... فَأَبَتْ غَوَالِب عَبْدَة مَا تَغْلَبُ

وَوَراءَ تَسْدِيةِ الوُشَاةِ مَلِيّة ... بالحُسْنِ تَملّحُ في الْقُلوبِ وتُعذَبُ

فلفظ المورى عنه في الفعل تملّح، فإنّه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة، وهو المعنى المورى به، ويحتمل أن يكون من الملاحة بمعنى الجمال وهو المعنى المورى عنه، والذي ذُكر قبل كلمة التورية، وهذا الملائم وهو ملية بالحسن(13)، وبذلك فلفظ تملح يحمل معنى الملوحة ولازمه العذوبة الواردة في البيت.

والملاحظ أنّ التورية تحدد قيمتها الفنية العلاقة الإيهامية بين المورى به والمورى عنه، وبذلك صُنّفت التورية المرشحة كأعلى قيمة فنية، فالمجردة وأخيرا المبنية.

التورية: تكوثر المعنى وأحادية اللفظ: أثارت مسألة تعدد المعنى اهتمام الأبحاث التداولية في جميع طبقاتها ومراتبها، فحظي الاشتراك اللفظي بكثير من المقاربات في الأبحاث المتنوعة في الدّرس التداولي الحديث، واختلفت كذلك مقارباته التراثية باعتباره« أنه سيصبح مرتعا خصبا لسلسلة من القراءات المتباينة والمتشككة، مُحدّثا بذلك حالة من الترف التأويلي». (14)

وتنطلق المقاربات التراثية في تأسيسها للمشترك اللفظي من منطلق إعجازية النص القرآني، فقد ذهب سليمان الخطابي في تحديده للمشترك اللفظي، "بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين فصاعدا على جهة الاشتراك مستدلا على وجوب وقوعه بأنّ الألفاظ متناهية، بينما المعاني غير متناهية؛ لأنّ الأمر في معاناتها يكون أشد، وفضلا على أنها نتائج العقول وبنات الأفكار"(15)، وبعبارة أخرى: «فالمعاني لا نهاية لها، والألفاظ متناهية، وما يكون بغير نهاية لا يكون تابعا لما له نهاية، وإنما كانت الألفاظ، لأنها داخلة في الوجود...، وكُلّ ما دخله الوجود من المكونات فله نهاية لاستحالة وجود ما لا نهاية له، وموضعه الكتب العقلية، وقد رمز إلى دليله هناك،... فأما مالا يوجد فليس به غاية، وإنما كانت المعاني بلا نهاية لأنها غير موجودة، وإنما هي حاصلة الذهن، وما وُجد فقد تناهى" (16).

وقد تنوعت أصناف الدلالات التي وقعت تحت مسمى دلالة المشترك بين ضربين، الأول حمل التركيب على جميع ما يحتمله كحمل الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(17)، على معنيي مجاهدة النفس في إقامة شرائع الإسلام، ومقاتلة الأعداء لنصرة الإسلام، والثاني تغاير المعنيين بحيث يكون تعيين التركيب للبعض منافيا لتعيينه للآخر بسبب إرادة الباث عرفا، ولكن نجاعة هذا التركيب يقوم على البدلية مع ما يُعين إرادة احدهما تحمل السامع على الأخذ بالجميع إيفاء بما عسى أن يكون مراد المتكلم. وقد يكون ثاني المعنيين متولدا من المعنى الأول(18).

وهذه نظرة تتفق مع نظرة التداوليين المعاصرين، حيث تحدثوا عن المشترك بما هو ظاهرة دلالية، وبما هو في الوقت نفسه ظاهرة تداولية(19)، من خلال انعتاق المعنى من العنف التأويلي الصارم إلى الأفق التداولي الذي ينفتح على خارج اللغة (المعطيات النفسية والاجتماعية) ليعيد للمعنى تشكيله الجديد.

ولعل هذا الانفتاح، استدعى من اللسانيين المعاصرين التمييز بين الألفاظ المشتركة والألفاظ المتعددة المعنى على أساس أنّ« الأول تدل على مقولات لا علاقة بينها، بينما تدل الثانية على مقولات مختلفة غير أنّ بينها علاقة »(20) إلّا أنّ التداخل الحاصل بين المشترك اللفظي والمجاز عمّق الخلاف بين اللغويين القدماء والمعاصرين حول طبيعة قرينة إطلاق اللفظ على معناه

المجازي وقرينة إطلاق المشترك على عدة معان، وجعلوا الفرق في " قرينة المجاز، المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وقرينة المشترك المعينة للمعاني المرادة كلا أو بعضا[21].

من هذا المنطلق تؤسّس التورية تكوينها البلاغي القائم على الإيهام والإيهام المتعمّد، والتضليل المقصود. وإذا اتجهنا بالتورية المؤسّسة على الإيهام المتعمد والتضليل المقصود إلى النص القرآني وجدنا بونا شاسعا بينهما لا يصِّح معه الالتقاء والاتفاق، ولهذا فالبحث في معانيه يقوم على خرق قاعدة تمييز الشيء بضده، لأن الخطاب القرآني منزه عن الخطاب البشري، وبالتالي بأنّ "أكثر متشابهات القرآن تورية"[22]، ففي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[23]، تدل لفظة"استوى "على معنيين على جهة الاشتراك« فقد تحتمل الاستقرار في المكان وهذا المعنى القريب المورى به، وهو غير مقصود، لأنّ ربّ العزة منزه عن ذلك، وتحتمل القوة والملك وعظمته، جلّ شأنه، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[24]، فالمعنى القريب المتبادر إلى الذهن من اللفظة" اليد " يفيد اليد الجارحة، وهو معنى ظاهر، وقد قرنت اللفظة بالبناء الذي يناسب المعنى القريب، بينما المعنى الثاني المورى عنه هو قدرته وعظمته سبحانه وتعالى»[25]

غير أنّ متلقي اللفظة المورى بها في النص القرآني والمشتملة على أسماء الله وصفاته « لا يستطيع بأي حال من الأحوال تبيّن خاصيتها الإعجازية المطلقة التي يتعالى بها خطاب الخالق عن قدرة وطاقة مخلوقه، الموسوم بالمحدودية والانتهاء» [26] ما لم يعيد بناء جديدا، يلتمس من خلالها طريقة للترجيح بين المعنيين المتنافسين تدل عليهما اللفظة المورى بها.

إلّا أن الباث في بعض الحالات قد يتجه بخطابه إلى المتلقي من المراوغة إلى التضليل المتعمّد لصرفه عن نيته– الباث- من الخطاب طلبا لمصلحة أو دفعا لضرر، وهذا ما نطلق عليه التورية المقصودة.

التورية: **من المراوغة إلى التضليل المقصود**: تتمثل من خلال تصريف اللفظة المورى بها عن المعاني المقصودة، وبالعودة إلى الذخيرة العربية يستوقفنا ما روي في الأخبار الواردة في خروجه صلى الله عليه وسلم إلى بدر، أنّه كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب، فقال: ممّن القوم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ماء، فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول: من ماء؟ من ماء؟ لينظر أيُّ بطون العرب، يقال لها ماء، فسار النبي -صلى الله عليه وسلم - لوجهته، وكان قصده أن يكتم أمره[27] ؛ لأنّه لا يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء، أو يجوز أن يكون القصد والمراد أن خلقهم من ماء لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[28].

إنّ ردّة فعل المتلقي(الرجل الأعرابي)، وتعجبه من انتماء الرسول -صلى الله عليه وسلم (الباث) إلى قوم ماء، يستلزم منه– المتلقي-، للكشف عن مقصدية الرسول، الاتكاء على الموسوعية اللغوية المترسبة في الذاكرة، ثم على الاشتغال الوظيفي لهذه الذاكرة بغية استحضار تمثلات ذهنية[29]، لذلك فإنّ معرفة العالم المحيط لدى الناس، وإدراك الموقف والسياق ونوع النص والقدرة على الاستدلال والاحتجاج، إنّ كل هذا يُمكِّن من الفهم والتفسير والتوقع أي من خلال ربط النص والأحداث بالأعراف والحياة الاجتماعية والمعيشة وتفاعله مع معطيات الحياة الواقعية دفعا للضرر، كما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم.

والشيء نفسه ينسحب على قول" أبي بكر الصديق رضي الله عليه "في الهجرة، وقد سُئل عن النبي -صلى الله عليه وسلم -فقيل له من هذا، فقال هاد يهديني، وكان قصد أبي بكر هو هاد يهديني إلى الإسلام، فورى عنه بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر"[30].

فالمتلقي لا يدرك المعنى المورى عنه، لأنّها قصرت عن حيِّزَه اللّغوي، وأصبحت اللفظة تكتسب أبعادا ودلالات جديدة خاضعة لانتقائية المرسل لها ومعرفته بمحدودية ثقافة المتلقي، وبذلك انتقلت معه- الباث -من المصَّرح به إلى المسكوت عنه.

التورية من البناء اللّغوي إلى الإيهام الشعري: إنّ الباث(المبدع)يتمّثّل بُنية مُسبقة لمعنى مقصود ومتعمّد، وفق الطريقة التي ترضيه، يستند فيها إلى الواقع والخيال في إطار سياق مُعدّ سلفا، يحاول من خلاله خلق توازن بين الألفاظ المورى بها عن المعاني المقصودة والمتلقين، ومن ثمّ يحصل بينه وبين المتلقين رابط تواصلي ناجع يحقق لهما الإبداعية الجمالية والمتعة.

وإذا كانت التورية في أصل تكوينها تنْبني على وحدتين؛ وحدة معجمية متعارف عليها، ووحدة تخيُّلية مسكوت عنها من صنيع المبدع؛ يحاول المتلقي الكشف عنها بإيجاد علاقات ومترابطات دلالية بين الوحدتين؛ وهذا ما نلحظه في أنموذج أبي العلاء المعري[31]؛ قال:

تَجَلُّ عن الرَّهْطِ الأمَاني، غَادةٌ لَهَا مِنْ عَقيلٍ، لَفْي مَمَالِكِهَا رَهْطُ

وحرفٍ كنُونٍ تَحْتَ رَاءٍ ولَم يَكُنْ بِدالٍ، يَؤُم الرّسْمَ، غيّرَهُ النّقْطُ

فالقارئ يشعر للوهلة الأولى، بأنّ المعري يريد بـ"راء ودال "حرفي الهجاء، لأنّه صدر بيته بذكر الحروف، واتبع ذلك بالرّسم والنُقطِ، أي برسم الأحرف وكتابتها وتنقيطها، وهذا هو المعنى القريب المتبادر إلى الذهن أول وهلة، لكن المراد غيره، وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب، لأنّه قصد بالحرف" الناقة"، وبحرف النون تشبه الناقة في تقوسها وضمورها. والرائي اسم فاعل من رأى، وهو الراكب الذي يضرب رئتها، الدالي اسم فاعل من دلا يدلو، وهو الرفيق، والرسم أثر الدار، والنقط المطر، ومعنى البيت مجملا، وهو أنّ هذه الناقة لضعفها وانحنائها تشبه نون تحت رجل يضرب ولم يرفق بها في المسير، أضف إلى هذا أنّه يؤم بها دار غَيّر المطر معالَمَها، واجتماع هذه

المواصفات دليل على ضعف الناقة؛ لأنّها لو كانت قوية لمّا احتاجت إلى ضربها أو الإشفاق عليها، مع ما يعتلج نفسية الراكب مع شدة الشوق إلى ديار أحبائه[32].

وهذا المعنى البعيد لا ينكشف ولا يدركه كُلّ المتلقين، فقراءة ابن حجة الحموي لبيتي المعري، تختلف عن قراءة المتلقي المُحدِث والمعاصر لهما أول مرة ؛لأنّ مدار قيام المعنى البعيد على الغموض الفني والالتباس في ظل المعطيات الواقعية، وبناءَ عليهما تتحدد فاعلية العملية التواصلية.

وبما أنّ التورية تنبني على المراوغة والالتباس، فهي ذات طبيعة إيهامية حاملة لصراع من التأويلات لأنَّ "المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهما، فإنّه يفيده بلاغة ويكسبه إعجابا وفخامة، وذلك لأنّه إذا قرع السمع على جهة الإبهام، فإنّ السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب"[33]، وهذا دَيْدَنُ ومنبع التشويق واللّذة الجمالية عند المتلقي.

فبيتا المعري لابّد لقارئهما أن يتسلّح بما "يحوجك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له والهّمة في طلبه[34]". لأنّ المعري في تشكيله لتجربته الانفعالية الواقعية تشكيلا تخيُّليا، يحاول مُخاتلة خيال المتلقي الذي من جهته يسعى إلى البحث عن طريق يرسم من خلاله مجموعة من الاستبيانات تتمظهر في مجموع القرائن، كما يوضحه حازم القرطاجني(ت: 684هـ) بقوله« : ومن ذلك أن تكون اللفظة أو الألفاظ المشتركة فتدل على معنيين أو أكثر في حال واحدة، فيجب للناظم أن ينوط باللفظة أو الألفاظ التي بهذه الصفة من القرائن ما يخلص معناها إلى المفهوم الذي قصده حتى يكون المعنى مستبينا، وذلك حيث يقصد البيان»[35] وذلك للانتقال بها من المعنى المصّرح به إلى المعنى المسكوت عنه، ومنه الكشف عن مقصدية الباث- المعري - ومن ثَمَّ يحصل التفاعل بينهما – المتلقي والباث-. ويمكن للمعنى المسكوت عنه أن يحتمل أكثر من قراءة، كما ظهر في بيْتَيْ عمر بن أبي ربيعة[36]

أَيُّهَا المُنكِحُ الثُّرَيا سُهيلاً عَمْرُكَ اللهُ كيْفَ يَلْتَقِيَانْ

هِيَ شَامِيَّة إذا مَا اسْتَقَلَتْ وسُهَيْلُ إذا اسْتَقَل يَمَانِي

من قراءة البيتين تظهر الوحدتين المورى عنهما هما الثُرَّيَا وسُهَيْلُ.

وبالرجوع إلى المعجم العربي نجد أنّ الثُّرَيَا سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنّها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل[37]، في حين تدل لفظة" سُهَيْل "إلى كوكب يماني لا يرى بخرسان ويرى بالعراق، وقيل سهيل بالحجاز[38]، وهذا هو المعنى القريب لهما.

ومن جهة أخرى يقول ابن حجة الحموي في سبب نظم هذين البيتين، «أنّ سُهَيْل المذكور، تزوج الثُّرَيَا المذكورة، وكان بينهما بون بعيد في الخُلْق، فإنّ الثُّرَيَا كانت مشهورة في زمانها بالجمال، وسُهَيْل بالعكس، وهذا مراد الناظم بقوله: عمرك الله كيف يلتقيان، وأيضا هي شامية الدار،

وسهيل يماني» [39] فالثُّرَيَا قصد بها بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وسُهَيْلُ قصد به سُهَيْل بن عبد الرحمن بن عوف[40].

وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه الذي يُعبِّر عن مقصدية عمر بن أبي ربيعة حسب قراءة ابن حجة الحموي.

والناظر لقراءة ابن حجة الحموي، يجد أنه استدعى مُوجِّهات واقعية اجتماعية من خلال استحضار خصوصيتهما الشخصية، فالثُّرَيَا مشهورة بالجمال والخُلْق وسُهَيْل على النقيض منها، وكذا اختلاف أمْصارهما، فهي شامية وهو يماني، ولهذا كان سبب تعجب عمر بن أبي ربيعة كيف يلتقيان؟.

وبهذا اقتضى تفسير البيتين من ابن حجة الحموي الانتقال بلفظتي الثُّرَيا وسُهَيْل ممّا تدلان عليه الكوكبين إلى شخصين هما ثُرَيا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أميَّة الأصغر، وسُهَيْل بن عبد الرحمن بن عوف حيث إنَّهما يمثلان تحولين دلاليين حملا التركيب الشعري قياسا على الواقع والعُرف الاجتماعي.

وقد ينظر قارئ آخر إلى بيتي عمر بن ربيعة إلى أنّ عمر بن ربيعة هو العاشق للثريا، وهذا من خلال التعمُّق في سيرته الشخصية المتميزة باللهو والعبث، ومن جهة أخرى مكانته الراقية عند أشراف قريش، فهذا ابن أبي عتيق، كيف توسط بينه وبين صاحبته الثُّريا[41] وهذا دليل على العلاقة الغرامية والعشقية بينهما أو تُعَبِّر لفظة الثُّريَا على امرأة، هي معشوقة الشاعر المجهولة.

ويمكن أن نوضح القراءتين السابقتين للوحدتين المعجميتين الثُّرَيَا وسُهَيْل

إنّ قيام المعنى الشعري على إمكانيتين، يجعله يحمل توجهات قرائية تتجاوز القراءة الأولية المتبادرة إلى الذهن أول وهلة إلى القراءة العميقة الاستيعابية للمعنى في جُلّه وهي التي تمثّل درجة الفهم الاستيعابي للمتلقي وتفاعله مع المعنى، كما تمثل التعبير والبوح اللذين هما انعكاس لمقصدية الباث-عمر بن أبي ربيعة-.

خاتمة: بعد هذا الفحص، والتعمق في إبراز لعبة التورية في بعدها الفني تراءى لنا أنّ التورية مُحسِن بديعي قائم على التفاعل بين المقاصد والمعاني، وبين الألفاظ ومبانيها، فهي تبدأ من المعنى المعجمي المصَّرح به إلى معنى سياقي مسكوت عنه، وهو يحقق ما اشترك الناس في معرفته، واستقراره في العقول والعادات(42) وبذلك تظهر السلوكات الاجتماعية، والقيم الثقافية للنصوص والإبداعات.

كما أن توصلنا إلى أنّ خُصوصِية التورية قائمة على المُغالطة والتضليل، فهي تضمن الوجود والاستمرارية أو الابتذال عندما تتوقف على التواتر القرائي لها بعيدا عن الاحتمالات والمُمْكِّنَات القرائية الأخرى، ومن ثمّ ينبغي على المتلقي أو القارئ أن يتحول من القارئ المتقبل المستهلك إلى القارئ المنتج لتأويلات جديدة.

مراجع البحث وإحالاته:

1- ينظر: القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. التلخيص في علوم البلاغة. ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ص: 347.

2- ينظر: الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن مالك الرعيني.تحقيق: رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1990، ص: 79.

3- ابن منظور، جمال الدين محمود بن مكرم. لسان العرب. مادة: وَرِيَ، دار المعارف، القاهرة، ج01/4822-4823.

4- ابن حجة الحموي. تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب. تحقيق: عصام شقيو، مكتبة الهلال، دار البحار، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة: 2004، ج02/39.

5- ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب.مادة: سَكَتَ، ج03/2046.

6- الجطلاوي، الهادي.قضايا اللغة في كتب التفسير- المنهج، التأويل، الإعجاز-. دار محمد علي الحامي، صفاقس- تونس، الطبعة الأولى: 1998، ص: 331.

7- الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس. ديوان الحماسة. شرح وتعليق: احمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1998، ص: 71، 72.

8- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة- المعاني والبيان والبديع-. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص: 364-365.

9- الأنعام: 60.

10- قلقيلة، عبده عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية. دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة: 1992م، ص: 301-302.

11- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب. ج02/246.

12- البحتري. الديوان. تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة: 1964، ج01/72.

13- ينظر: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب. ج02/246.

14- أمبرتو إيكو. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الثانية؛ 2004، ص: 63.

15- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم.بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).تحقيق: محمد خلف الله احمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة:1976، ص: 36.

16- العلوي، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز. دار الكتب الخديوية، مصر، 1232هـ، ج151/02

17- العنكبوت: 06

18- ينظر: مقبول، إدريس. الأفق التداولي -نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية-. عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، الطبعة الأولى؛ 1432هـ/2011، ص: 14.

19- المرجع نفسه، ص: 15.

20- المرجع نفسه، ص: 16.

21- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. الدار التونسية للكتاب، تونس، 1984، ج99/01.

22- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص: 427.

23- طه: 05.

24- الذاريات: 47.

25- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة. ص: 64.

26- ينظر: عبد الرحمن، طه. العمل الديني وتجديد العقل. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الثانية؛ 1997، ص: 30، 31. يقول: «وإذا سلمنا بأنّ النظر يسلك سبل المشابهة، لزم أنّ من يخوض في الإلهايات واقع، شاء أم أبى تحت وطأة الأساليب التشبيهية في تقريبه للمطلوب الغيبي وتقديره لصفاته، وعلى افتراض أن الرغبة في التنزيه حاصلة عند الناظر، فلا ينفعه أن يستعمل لوصف هذا المطلوب الغيبي...مقولات "التعالي""والإطلاق" و"اللاتناهي" فما من واحدة منها إلا تغشاها وجوه التشبيه تدق عن الأفهام ولو توجهت فيها الهمم بالتنزيه، كان يدرك احدنا التعالي بالعلو والعلو بالعالي والعالي بشاهد من شواهد المثلى، وكأن يقبس اللاتناهي بالتناهي والإطلاق بالتقييد وفق قاعدة تمييز الشيء بضده»، ص: 30-31.

27- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، ج79/03.

28- الطارق: 05-07.

29- ينظر: صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-. دار التنوير، الجزائر، الطبعة الأولى؛ 1429هـ/2008م، ص: 274-277.

30- المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة. -البيان والمعاني والبديع-. دار القلم، بيروت- لبنان، ص: 305.

31- المعري، أبو العلاء. ديوان: سقط الزند. دار صادر، بيروت، 1376هـ1957م، ص: 177.

32- ابن حجة الحموي. تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب. ج39/02.

33- العلوي، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. ج78/02.

34- الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة في علم البيان. محمد رشيد رضا، الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1988، ص: 118.

35- القرطاجني، أبو الحسن حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ص: 185

36- بن أبي ربيعة، عمر. الديوان. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية؛ 1416هـ/1996م، ص: 397.

37- ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب.مادة: ثَرا، مج480/01.

38- ينظر: المرجع نفسه، مادة: سهل، مج2135/03.

39- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. خزانة الأدب وغاية الأرب.ج249/02.

40- المرجع نفسه، ج249/02.

41- ينظر: بن ابي ربيعة، عمر. الديوان. ص: 17.

42- الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة في علم البيان. ص: 294.